OPEN ACCESS
Scholars International Journal of Linguistics and Literature
Abbreviated Key Title: Sch Int J Linguist Lit
ISSN 2616-8677 (Print) |ISSN 2617-3468 (Online)
Scholars Middle East Publishers, Dubai, United Arab Emirates
Journal homepage: https://saudijournals.com

Original Research Article

الموازنة بين القاضي يحي النووي والوزير رجنيد في المدح دراسة أدبية نقدية

Dr. Sirajo Muhammad Sokoto[1], Dr. Bashir Isah[2*], and Dr. Yusuf Liman[3]

[1&2]Department of Arabic, Federal University, Gusau, Nigeria
[2]Department of Arabic and Islamic Studies, Sokoto State University, Sokoto, Nigeria

DOI: 10.36348/sijll.2022.v05i12.005 | **Received:** 24.10.2022 | **Accepted:** 01.12.2022 | **Published:** 13.12.2022

***Corresponding author:** Dr. Sirajo Muhammad Sokoto
Department of Arabic, Federal University, Gusau, Nigeria

ملخص

أفصح على والصلاة والسلام {السيئات ذهب من الخبيث الله ليميز} :والقائل {الطيب من الخبيث ليميز الله} :والقائل الحمد لله إلى نهجهم ومن المهتدين وأصحابه وآله وعلى "تركوك تركتهم فإن قدوك الناس قدت إن" :القائل باضطا نطقًا العرب الدين، يوم

Copyright © 2022 The Author(s): This is an open-access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution **4.0 International License (CC BY-NC 4.0)** which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium for non-commercial use provided the original author and source are credited.

وغيرهم من حفاظ اللغة وعباقرتها. فهذه المقالة عبارة عن الموازنة بين القاضي يحي النووي والوزير جنيد في المدح دراسة أدبية نقدية، وتحتوي على المقدمة والنقاط التالية:

- التعريف بالشاعرين
- مفهوم المدح في اللغةوالاصطلاح
- مفهوم الموازنة في اللغة والاصطلاح
- عرض قصيدتين
- الموازنة بين الشاعرين من خلال قصيدتيهما في المدح

التعريف بالشاعرين

أولا: **القاضي يحي النووي:**

هو الشيخ القاضي يحيى النووي بن الوزير بن عبد القادر مثطو بن محمد البخاري بن أحمد بن الوزير غطاط, لقب بالنووي تبركا للنووي صاحب رياض الصالحين وهو من أحفاد الشيخ عثمان بن فودي من ناحية أمه السيدة أسماء زوج غطاط بن ليم[i].

وبعد:

فإن الموازنة ريعان النقد العربي القديم. وبها عرف بسالة العرب وعبقريتهم في الشعر والنثر و ويشهد ذلك فيما حكى أن النابغة الذبيان يضرب به قبة ويأتي الشعراء وينشدون قصائدهم ويفضل البعض على البعض على مرور العاطفة والحس. وكذلك في صدر الإسلام والأموي، وفي العصر العباسي تغير الأمر من العاطفة والحس إلى الذوق الفنى وهكذا استمر الأمر إلى العصر الحديث حيث نشأت المذاهب الأدبية منها الكلاسكيون الذين عكفوا وأخذوا بحذافير القدامي من الشعراء وذلك بقيادة الشاعر محمود سامي الباروي وهذا ما اكتسب للغة العربية مجدًا وشرفا وحفظا وطفق التطوير يهرول إلى العصر الفودي، وعلاوة على ذلك في القرن العشرين وعاش جيل جديد لمحفظة اللغة العربية وشرفها بزعامة الشيخ عثمان بن فودي وطلابه أمثال الأستاذ عبد الله بن فودي وأمير المؤمنين محمد بلو ومحمد البخاري

1906م، بعد ولادة أمير المؤمنين أبي بكر الثالث بثلاث سنوات بحارة غطاطاوا في مدينة صكتو[vi] نشأ الوزير في كفالة عمه الوزير سمبو بعد وفاة أبيه ولم يجاوز أربع سنوات. تعلم من فطاحل العلماء البارزين المشهورين في مدينة صكتو أمثال عبد القادر مثظو إمام مسجد أمير المؤمنين محمد بلو سابقً.[vii] تعلم قرأ القرآن الكريم منه إلى ختمه وشرع يتعلم الكتب الدينية مثل أصول الدين للمجدد الشيخ عثمان بن فودي، وكتاب الأخضري للإمام عبد الرحمن الأخضري، والعشماوي للشيخ عبد الباري، ومقدمة العزية لأبي الحسن علي المالكي الشاذلي، وكتاب الرسالة لأبي زيد القيرواني وغيرها. عكف الوزير جنيد على طلب العلم من عالم إلى عالم من متفنن إلى متخصص،ومن هؤلاء العلماء الشيخ يحي بن الوزير خليل أخذ عنده مختارات من الشعر الجاهلي والعشرينيات للأفازازي، ومقامات الحريري لأبي محمد القاسم، ثم اتصل بالعلامة أبي بكر بوبي المتخصص في اللغة وقواعدها وتعلم منه ملحة الإعراب للإمام جمال الدين، وألفية ابن مالك، والقصيدة الخزرجية في علم العروض، والحصن الرصين، للأستاذ عبد الله بن فودي.[viii] وله مؤلفات في النثر ما يلي نيل المرام بترجمة الإمام أمير المؤمنين الهمام محمد بلو بن الإمام،وتفريج النفس بذكر زيارة العراق والقدس،وتأنيس الأحباء –وعرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ عثمان بن فودي. ومن شعره قصائده في التوسلات والاستغاثة والزهد والوعظ والإرشاد وخلف ديوانين، ديوان القصائد وديوان التوسلات والدعوات توفى في يوم الخميس صباحًا 1417/9/1هـ وله إحدى وتسعين سنة رحمه الله ونور ضريحه.[ix]

مفهوم المدح في اللغة وا لاصطلاح

ولد القاضي يحي النووي في قرية وُرْنُو ولاية صكتو نشأ في بيت العلم والعز والشرف وعنى به والداه بعناية فائقة، تعلم القرآن ومبادئ العلوم الدينية على يدي الخطيب عبد القادر مثظو الإمام لجامع أمير المؤمنين محمد بلّو سابقا[ii] واصل تعلمه على رعاية العالم النحرير أبي بكر بوبي حيث أخذ منه بعض الكتب اللغة أمثال: لامية الأفعال لابن مالك – الحصن الرصين للأستاذ عبد الله بن فودي، وكتاب عقود الجمان للإمام عبد الرحمن السيوطي. وكفاية ضعفاء السودان للعلامة عبد الله بن فودي، وضياء التأويل ثم تصدر للتدريس واتخذ بيته معهدا يدرس فيه الطلاب وسعى سعيا مشكورا نحو هذه المهنة فكان لا يشغله شيء عن التدريس وذاع صيته واشتهر من بين الداني والقاصيوله طلاب عظماء منهم الوزير جنيد، والأستاذ إبراهيم قوفر ريني – والأستاذ عبد الله عركونَ لَفَيْ ولاية نيجر وغيرهم.[iii]

مؤلفاته:

من مؤلفاته درة أهل السنة مخطوط والتنبيه والارشاد – بيان وتقرير لأوجه الخطأ الواقع بين القادريين والتيجانيين في حادثة غسو، وله قصائد منها قصيدة ميمية في مدح أمير المؤمنين الحسن بن معاذ.[iv]و نونية في مدح أمير المؤمنين أبي بكر الثالث وتشطيره لقصيدة عمه الوزير جنيد رحمهما الله.توفي القاضي يحي النووي يوم الرابع والعشرين من ديسمبر سنة تسع وتسع مائة بعد ألف ميلادية وخلف أربع أزواج وستة وعشرين ولدًا ما بين الذكور والإناث.[v]

ثانيا:الوزير جنيد:

هو الوزير جنيدبن محمد البخاري بن أحمد بن غطاط بن ليم الفلاتي وهو من أحفاد الشيخ بن فودي من جانب جدته أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي رحمهما الله، ولد يوم الثلاثاء من شهر شوال سنة 1322هـ الموافق

عز وجلا "ونضع الموازين القسط"[xv] أي يريد نضع الميزان القسط ومن معانيه المساوة بين الشيئين كقولك اتزن العدل أي اعتدل بالآخر وصار مساويا له في الثقل والخفة توازان الشيئان: تساوي في الوزن يقال هذا القول أوزن من هذا أقوى وأمكن وأوزن القوم أو جههم.[xvi]

وأما اصطلاحا: هي المفاضلة بين شاعرين أو أكثر للوصول إلى حكم نقدي[xvii]. وبعبارة أخرى هي دراسة يتم من خلالها المقارنة بين عناصر الأدب وفنونه وعصوره، ورحاله بقصد الإيضاح والترجيح.

ومهما يكن الأمر فإن الموازنة هي المساواة بين الشيئين لغرض تمييز الجيد من الردئ والصحيح من الزيف، والجميل من القبيح. ومن هذه التعريفات يعرف الموازانة بأنها العدل والوزن بين الشيئين لغرض معرفة الفاضل والمفضول والجميل والأجمل والصحيح والأصح والقبيح والأقبح. وغيرها من اتزان الأشياء.

عرض القصيدتين

أولا: ميمية النووي في مدح أمير المؤمنين الحسن بن معاذ

وهي ميمية الروي مطلقة القافية منسوجة على بحر الوافر ، في مدح أمير المؤمنين الحسن بن معاذرحمه الله، وتقع في عشرين بيتا، افتتحها الشاعر ينادي أهل صكتو وجميع أهل الأرض يخبرهم أنهم فازوا بوجود إمامجدير بالخلافة الذي يستحق أن يقودهمواستمريذكر أخلاقه الطيبة من شفقته على الرعية وطيبة قلبه وعدالة سياسته،قائلا:

أيا أهل صكت بل ألايا ** أهالي الأرض فزتم بالإمام
عريق في الإمامة إذ هو ابن الإمام ** بن الآمام بن الإمام
جدير بالخلافة مستحق ** بها أهل ومن مثل الهمام
سليم القلب طود الحلم سهل ** شفوق بالرعية خير حام
أمين ما من الضعفاء درع ** حصين لا يحرق بالسهام

قال الفيروزبادي في قاموسه المدح من مدحه كمنعه مدحًا أي حسن الثناء على الشيء والمديح والأمدحة هى كل أمر يمدح به وتجمع على مدائح[x] و في لسان العرب المدح عكس الهجاء وهو حسن الثناء[xi]و هي كلمة جاءت ماضيا على وزن فعل أي مدح ومضارعه يمدح أي أثنى عليه بماله من الصفات[xii] و وأما في الاصطلاح فهو تصوير محاسن الممدوح بالقول الجميل[xiii] وبعبارة أخرى المدح هو الثناء والتعظيم مع الاحترام[xiv] ومهما يكن الأمر فإن المدح يقصد به الثناء على ذي الشأن بالكلمات الجميلة الرائعة المثيرة إلى الطرب والفرح والسرور سواء كان للتكسب أو غيره. أو بعبارة أخرى أن المدح نظم الألفاظ والمعاني المعبرة بها لغرض ثناء الممدوح المهيجة للهنأة والفرح والسرور، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل علىأن المدح هوالابتهاج والسرور والفرح.

الموازنة لغة واصطلاحًا:

الموازنة على زنة المفاعلة وهي من الوزن، وزن الثقل والخفة ذكره إمام الليث الوزن ثقل شيء بشيء مثله كأوزان الدراهم ومثله أتزن وزن الشيء وزنًا وزنة. قال سيبويه أتزن يكون على الاتخاذ وعلى المطاوعة وإنه لحسن الوزنة أي الوزن جاؤوا به على الأصل ولم يعلوه ليس بمصدر إنما هو هيئة الحال وقالوا هذا درهم وزنا وقال أبو منصور ورأيت العرب يسمون الأوزان التي يوزن بها التمر وغيره المسوّاة هن الحجارة والحديد الموازين واحدها ميزان وهي المثاقيل واحدها مثقال قال الجوهري أصله مِوزان انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وجمعه موازين يقول

منير القلب صافي الطبع عدل** حقيق أن يحكم في الأنام
لقد علمت بذلك أهل حوس ** جميع قبل أخذك بالزمام
ستبهر أرضنا وتفوق حوس ** بإذن الله بالحصن الهمام
عريق في الإمامة هو ابن الإمام ** بن الإمام بن الإمام
جدير بالخلافة مستحق بها ** أهل ومن مثل الهمام

ثم انتقل يذكر وقوفه على الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بالصلح بين المتخاصمين وقمع الظلم وإخماد نار العداوة بين الرعية، قائلا:

لقد علمت بذالك أهل حوس ** بإذن الله بالحسن الــهمام
وتحي وقته عمرا جـــديدًا ** كما تحي الرياض مع الغمام
ويؤمن أهلها وحش افتراق ** ويذكر وقته وقت التـئام
وتخمد من قلوب الناس نار ** العدواة اججت زمن اللئام
وتغمد الدين تبقي فسادًا ** فتحرس لا نيبق من الكلام
ويضرب فوق أيدي الظلم من ضرب ** تشر به فيذهب كالجهام

وختم القصيدة يدعو الله أن يعمر ممدوحه وينصره على أعدائه ويهديهم لطاعته متوسلا بالنبي ﷺ وأتباعه قائلا:

سألت الله أن يبقيه دهرًا ** طويلا في الامامة بالسلام
وينصره على الخير دأبا ** فيصبح خيره على كل الأنام
ويهدينا لطاعته جميعا ** ويثبتنا عليها بالدوام
بحق المصطفي البادي علاه ** على كل البرية ذى التمام
صلاة الله عدة من يعلى ** عليه وضعف ذاك مع السلام
كذا الأصحاب أرباب المعاني ** فكل منهم في الفضل سام

بن معاذ، وتقع في إحدى عشرة بيتا، افتتحها الشاعر يذكر غرامه، للأمير المؤمنين وعبّر عن تجربته الروحية، يذكرمحامد ممدوحه من أخلاقه وأوصافه الخلقية قائلا:

تطاول ليلي واستمرت وساوسي ** وفاضت على صدري بحور المدامع
وبت أراعي النجم في غيهب الدجا ** أشير إليه مرة بالأصابع
وصرت أمني الصبح حتى كأننى ** أبيت على جمر من النار لاذع
إلى أن بدا وجه الصباح كأنه ** محيا أمير ذي الأيادي الهوامع
أمير له في كل فعل محامد ** وأخلاقه فاقت غسو لا لراضع

ثانيا:عينية الوزير جنيد التى مدح بها أمير المؤمنين الحسن بن معاذ.

وهي عينية الروي مطلقة القافية منسوجة على بحر الكامل، في مدح أمير المؤمنين الحسن

استمر الشاعر يذكر أخلاق ممدوحه وإذاعة صيته وحب الناس إليه لكرمه وحسن سريرته قائلا:

سخى يحاليه السحاب وخيره ** عميم لجمع الناس دان وشاسع
حيي حليم ليس فيه فظاظة ** عطوف أمير القلب ليس يخادع
لذا كان مشتقا من الحسن اسمه ** ولا غرو إن أمسى كريم الطبائع
وشاع جميل الذكر منه وأذ عنت ** إلى ذكر الأخلاق جميع المسامع

وأصبح كل الناس يرجو بقاءه ** مع الخير حوما وهو أعلى المنافع
أيا حسن السامي الحسين فعاله ** ويا سيدي السجير باخير طالع
لقد فرحت هذى البلاد جميعها ** وبأخذ كها يا خير راع ودافع
وزادت حلاها واطمئنت كأنها ** عروس لي كفو تزف وشافع
وأمنها من كل ظلم ينسبها ** بعدلك حتى فرّ ذيب البلاقع
أيا سيدي بابن الكرام الأماجد ** وقاك اله العرشمن كل فاجع

اختتم القصيدة بالدعاء له والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين بقوله:

وأبقاك في ظل الخلافة ءامنا ** مصونا لحصن الله من كل واقع
ونجاك من شر البغاة جميعهم ** ومن كل ذي عيب خفي وذائع
وأعطاك ربي حلّ خير تزيده ** من الدين والدنيا وكل المنافع
صلاة وتسليم على خير مرسل ** وآله وأصحاب له ثم تابع
والال والصحب ماداع أجيب وما ** تعقب اليس ر بعد العسر اذ طرفا

الشكل والمضمون لميمية القاضي يحي النواوي في مدح أمير المؤمنين الحسن بن معاذ

الشكل عبارة عن ظاهر القصيدة بمعنى الألفاظ المستخدمة فيها،وهذه القصيدة تضمنت ألفاظًا مناسبة ومطابقة لمقتضى الحال وكنموذج على ذلك يذكر الباحثون قول الشاعر:

جدير بالخلافة مستحق ** بها أهل ومن مثل الهمام
سليم القلب طود الحلم سهل ** شفوق بالرعية خير حام
أمين ما من الضعفاء درع ** حصين لا يحرق بالسهام

مجاوزة الحد وكل هذه الألفاظ معهودة في الاستعمال وثيقة في الإصغاء رائعة في الخطاب ولها روعة في تلفظها بدون ثقل، أودعها لإصغاء إليها وهذا يدل على مهارته في اختيار الألفاظ الملائمة وذلك في الأسماء وكذلك اختار من الأفعال ما هو أقرب اتصالا بموضوع المدح ويظهر ذلك في قوله:

استعمل الشاعر ألفاظا وصيغا مناسبة في هذه القصيدة فلفظ جدير على زنة فعيل،و مستحق على زنه مستفعل وهمام على زنة فعال وسليم على زنة فعيل وشقوق على وزن فعول وحصين على وزن فعيل،وحقيق على وزن فعيل وكلها أوزان على الميزان الصرفي الصحيح وفيها إحساس بالمبالغة بدون

لقد علمت بذلك أهل حوس ** جميع قبل أخذك بالزمام
ستبهر أرضنا وتفوق حوس ** بإذن الله بالحصن الهام
وتخمد من قلوب الناس نار ** العدواة اججت زمن اللئام
وتغمد الدين تبقي فسادًا ** فتحرس لا نيبق من الكلام
ويضرب فوق أيدي الظلم من ضرب ** تشر به فيذهب كالجهام

أحسن وأجاد في مضمون القصيدة حيث أطنب الذكر بالجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والدوام ويشاهد ذلك عند قوله:

عريق في الإمامة هو ابن الإمام ** بن الإمام بن الإمام

فألفاظ ستبهر وتفوق ونخمد ، وتعمد ، ويضرب ، كلها ألفاظ تحرك بها ألسنة العرب ومألوفة بين الشعراء والكتاب ولم تخالف الميزان الصرفي ووافقت مواضيعها والغرض المنشود بها الذي هو المدح كما أنه

ويرق إذا رافقته[xx] والوافر أيضا يحسن في الاستعطاف والبكائيات واظهار الغضب في معرض الهجاء والتفخيم في معرض الهجاء[xxi] وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الشاعر أخذ الوافر في محله واستعمله في ما يناسبه والشاعر أفخم الكلام في معرض المدح وألين في محل اللينة ومن ابداع الشاعر وروعة القصيدة استخدام القافية التى هي ركن مهم من أركان الشعر العربي وقافية الميم من أروع القافية لكونها خالية عن الثقل والغرابة خلاف عن التاء والثاء والزاء والفاء والغين فإنها ثقيلة في الاستخدام.

الشكل والمضمون لعينية الوزير جنيد التى مدح بها أمير المؤمنين الحسن بن معاذ.

الشكل ركن مهم في القصيدة به يبدئ طلاوة القصيدة ورونقها ولا تتسم القصيدة بالجودة إلا إذا كان اللفظ جيدًا ورائعًا وابتعدت من حواشى الكلام وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني في النظم "إذا عرفت أن مدار أمر من النظم" على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التى من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة.[xxii] ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا نجد لها ازدياذا بعدها ينبه الجرجاني أهمية النظم وهو ترتيب الألفاظ ونسقها لموافقة المعاني، وهذه القصيدة حشدت الألفاظ الرائعة الوامقة وخاصة حين يستخدم الجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والدوام ويظهر ذلك عند قوله:

تطاول ليلي واستمرت وساوسي ** وفاضت على صدري بحور المدامع

وبت أراعي النجم في غيهب الدجا ** أشير إليه مرة بالأصابع

وصرت أمني الصبح حتى كأنني ** أبيت على جمر من النار لاذع

ألفاظه ليلي، وساوسي صدري رقادي، جيراني، النجم الأصابع كلها ألفاظ جيدة ولم تتسم بحواشى الكلام ولا تعدل عنالميزان الصرفي تتصف بالثقل والملّ في إصغائها ثم إنها وافقت المعاني المطلوبة في الجملة الاسمية وهي الدوام والثبوت وكذلك إيثاره الصيغة المبالغة وهي زنة فعل ويظهر ذلك عند قوله:

أمير له في كل فعل محامد ** وأخلاقه فاقت غسو لا لراضع

عريق في الامامة أضافالعراقة للإمامة لتكون صفة نابتة ودائمة إلى مدة إمارته وكذلك استخدام الجمل الاسمية لتوحى أنه أراد الثبوت والدوام ومما يروع القارئ في هذه القصيدة مطابقة الكلام لمقتضى الحال وعلى مثل هذا يقول عبد القاهر الجرجاني في قوله (والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدًا كيف جاء واتفق وأبطلت نقده ونظامه الذي عليه بنى، وفيه أفرغ المعنى وأجري، وغيرت ترتيبه الذي بخصوصية أفاد ما أفاد، وبنسقه المخصوص أبان المراد[xviii]) ومهما يكن الأمر من شيء فإن هذه الألفاظ والجمل قد أبان مغزىالشاعر. وإجادته لصياغة الأفعال زاد القصيدة رونقا وجمالا وطلاوة لأن الجملة الفعلية تفيد معنى الحدوت والتجدد في زمن معين[xix] و قد آثر الشاعر الأفعال المضارعة في قوله لا يحرق– أن يحكم – استبهر، وتحي ويؤمن، وتخمد وتغمد. ويضرب كلها موزنه على زنة فعل مضارع دال على الاستقبال أو الاستمرار في الفعل. وقوله وينصره – ويملأ ويهدينا فيصبح ويثبتنا ويصلى كلها دالة على الفعل المضارع المشير إلى التجدد والحدوث إذا لم تكن القرينة.

ومما يروع القارئ في القصيدة ايثار بحر الوافر الذي كان ألين البحور يشتد إذا اشتددته

سخى يحاليه السحاب وخيره ** عميم لجمع الناس دان وشاسع
حي حليم ليس فيه فظاظة ** عطوف أمير القلب ليس يخادع
لذا كان مشتقا من الحسن اسمه ** ولا غرو إن أمسى كريم الطبائع
وشاع جميل الذكر منه وأذ عنت ** إلى ذكر الأخلاق جميع المسامع
وأصبح كل الناس يرجو بقاءه ** مع الخير حوما وهو أعلى المنافع

للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني ومواقعها فإذا وجب المعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في المنطق[xxiii] ومهما يكن الأمر من شيء فإن هذه الألفاظ وافقت المعاني الموضوعة لها.

وأما من ناحية المضمون فالشاعر صاغ المعاني الشريفة الرفيعة وذلك في إصغاء الجملة الفعلية وخاصة استخدام الفعل المضارع الذي يدل على الاستمرار مع أن الجملة الفعلية في أصلها تشير إلى التجدد والحدوث ومن ألفاظه المصوغة قوله:

تطاول ليلي واستمرت وساوسي المدامع
وبت أراعي النجم في غيهب الدجا
وصرت أمني الصبح حتى كأنني

القافية فقد اختار العين وهي من حروف متسمة بالجودة والروعة في القافية وليست مما يجعل القصيدة ثقيلة غريبة نحو الفاء والغين والزاء والثاء والتاء. ولا شك في أن القافية رائعة.

الموازنة بين القصيدتين

من حيث المطلع

الشعر قفل أوله مفتاحه وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره؛ فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة[xxiv].

افتتح القاضي يحي النووي قصيدته بدون ذكر الأطلال أو وصف امرأة تقليدا للعرب القدامى في افتتاح قصائدهم قائلا:

أيا أهل صكت بل ألايا
عريق في الإمامة إذ هو ابن الإمام

فلفظ أمير على وزن فعيل وسخي على وزن فعلي وعميم وحيّي وحليم وكريم وجميل سجّير كلها الصيغة المبالغة وجمل الاسمية مدلولة على الثبوت والدوام للمدوح وهذا الاختبار أبدع في الايثار في استعمال الصيغة المبالغة الشيقة ولا يكون اللفظ فصيحا إلا إذا وافق المعنى الشريفة ملأمة معناها لمعاني جارتها وفصل مؤانستها لأخواتها، وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني عن ذلك حين يعبر عن حسن اللفظ قائلا: ذلك إن لم يكن نابية مستكرهة وعلاوة على ذلك إن اللفظ أوعية

** وفاضت على صدري بحور

** أشير اليه مرة بالأصابع
** أبيت على جمر من النار لاذع

فأفعال :تطاول، استمرت، فاضت، عزّ هاجت نام بت أشير صرت أبيت بدي، شاع أصبح فرحت أبقاك نجاك تعقب، كلها معاني جيدة معهودة في الاستعمال ولم تكن نابية مستكرهة ومهما اختار الشاعر الألفاظ وإن لم توافق المعنى فإنها لا تعتبر معان ناهضة والخطاب بالمضارع يدل على الاستمرار والتجدد ولذلك صاغها لتوافق المغزي وهو الاستمرار والتجدد وكذلك الخطاب بالماضي فيه الشعار بالحدوث والتجدد.

ومما يروع القارئ في القصيدة إيثار الوزن والقافية والشعر من البحر الطويل، والطويل يتسع من المعاني وهذه القصيدة حشدت المعاني الكثيرة لكونها من بحر الطويل، وأما

** أهالي الأرض فزتم بالإمام
** بن الآمام بن الإمام

العادل وهذا من أحسن المطالع و أما الوزير جنيد فيلاحظ أنه لم يدخل في معاني المدح والثناء مباشرة بل دخل في ألغاز الكون متأملا يذكرشوقه وتخرق قلبه مقلدا بالقدامى قائلا:

تطاول ليلي واستمرت وساوسي المدامع
وبت أراعي النجم في غيهب الدجا
وصرت أمني الصبح حتى كأنني

ومما يروع القارئ هنا أن الشاعرين اقتدى بالقدامي في إيثار الألفاظ المعهودة الرائعة الوامقة الملأمة للمعاني واعتبارا إلى ما قاله الجاحظ في قضية اللفظ والمعنى "من زوايا متعددة وجوانب مختلفة، يري القدامى أن أحسن الكلام ما كان معناه في ظاهر لفظه وإن ذلك لا يتم في رأيه إلا عن طريق المزاوجة بين المعنى الشريف واللفظ البليغ وهو في تثبيت هذا الرأي وتوضيحه، وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه فإن كان المعنى شريفا واللفظ بليغًا، وكان صحيح الطبع، بعيد الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكليف، صنع في القلوبصنيع العيش في التربية الكريمة"[xxv] وعلى هذا القول يفهم أن الشاعرين أتقنا في إيجاز الألفاظ والمعاني الملأمة على حسب ما وصفه النقاد لأن أغلب الألفاظ فصيحة ومعانيه شريفة وهذا يدل على تمرين الشاعرين في الاقتداء بالشعراء القدامي مثل امرؤ القيس والنابغة الذبياني والأعشى وزهير بن أبي سلمى من الأوائل الشعراء الجاهلي.

ومما يروعك في هذين القصدتين تجسيم الصيغة الشعرية وهي الجسم الذي يعبر عن كل تجسد من روح ومعان ومن ذلك قول يحي النووي:

ستبهرأ رضنا ونفوق حوس
وتحي وقته عمرا جديدا

ولعل شوق الشاعر للممدوح هو الذي أشغله وأنساه وجعله يدخل في المدح مباشرة دون أن يذكر ليلى ولا هند عبر بياء النداء ليستصغى أهل صكتو و ينبههم بوجود الفوز بالإمام

** وفاضت على صدري بحور

** أشير اليه مرة بالأصابع
** أبيت على جمر من النار لاذع

افتتح الشاعر قصيدته يصف حاله وإحساسه حين بلغه الخبر تولية أمير المؤمنين الحسن بن معاذ الإمارة وما أخذته من غيبوبة الشوق وكان بين النعاس واليقظة وسكب الدموع فرحا وطربا وهناة، ولا غرو في ذلك إذا غلب الفرح في قلب الإنسان يسبب له عدم النوم، وعكف الشاعر يرتجي الصبح وكأنه يبيت على جمرة النار وذلك لطول الليل ورجائه للقاء الممدوح في الصبح.

وإذا وقف الناقد البصير على مطلع القصيدتين يدرك أن الشاعرين أجادا في الافتتاح حيث أن كل واحد منهما فتح قصيدته بما يقر الأذن ويفهم الغرض المنشود الذي هو المدح إلا أنه يلاحظ أن عاطفة الوزير تجاه الممدوح أعمق وأسلوبه أجمل حيث أنه وصف حاله وتفريط غرامه حين وصول الخبر إليه وأما القاضي النواوي دخل مباشرة يخبر صفات الممدوح بدون أن يشعر القارئ أو السامع خجلات قلبه اللهم إلا ما يفهم من ألفاظه، ومن حيث الأسلوب فإن الوزير فتح بالتصريع وفواصله تقر السمع وتزين الأسلوب ا وأما القاضى لم يهتم بتصريع المطلع،

أجادالشاعران في اختيار الألفاظ والمعاني والموسيقي وكل منهماأبدى مهارته وعويصيته في قرض الشعر على منوال شعري قديم وفي مراعاة الألفاظ والمعاني والصياغة والأخيلة والموسيقي الشعرية،

** بإذن الله بالحسن الهمام
** كما تحى الرياض مع الغمام

وفيه شعور وحسن بالطبيعة والحياة الإنسانية وهكذا يقول الوزير جنيد :

سخى يحاكيه السحاب وخيره
حي حليم ليس في فظاظة

أن القاضي يحي النووي أجاد في إيثار الوافر في المديح وأجاد بعض النقاد أن الوافر يصلح للمدح إذا كانت المعاني مفخمة وإن كان الوافر يحسن بالمعاني اللينة، وهذا لا يخلو من روعة القصيدة[xxvi].

كذلك الوزير جنيد اتخذ بحر الطويل في المديح مع أنه أغلب في الوصف والفحر وهذا لا ينافي الجودة في الشعر إلا أن معظم ما وصفه النقاد بالطويل اتساع الألفاظ والمعاني والشاعر وافق هذا في توسيع الألفاظ والمعاني في مدحه. ناهيك قوله:.

وأصبح كل الناس يرجو بقاءه
أيا حسن السامي الحسين فعاله

الموضوع في أربعة نقاط التعريف بالشاعرين فالتعريف بالمدح ثم الموازنة وعرض القصيدتين وتحليل كل واحدة على حدة ثم التقويم والخاتمة، وقد ظهر من خلال هذه الدراسة النتائج الآتية:

1- فالشاعران تأثرا بالقدامى الكلاسكين أمثال الأعشى والنابغة الذبياني وامرئ القيس والفرزدق والخطيئة في قرض الشعر واستقاء ألفاظ فصيحة بليغة ومعان شريفة.
2- اتفق الشاعران في استخدام الألفاظ والمعاني الشريفة، وإن كان تفضيل بينهما وذلك يظهر في السعة المعانى في عينية الوزير لأنها جاءت من البحر الطويل، والطويل أوسع البحر في المعاني.
3- اجتمع الشاعران في قرض القصيدة على منوال كلاسكي ومرعاة قونين اللغة من نحو وتصريف وبيان ومعان وبديع وكلاهما اقتصرا في الاستخدام المجازي والاستعارة والتشبية وغيرها.

** عميم لجمع الناس دان وشاسع
** عطوف أمير القلب ليس بخادع

وهذان البيتان توحي بالطبيعة والحياة الإنسانية ويعجبك في القصدتين أنهما راعي في وزنهما المبالغة بحيث لم يبالغا مبالغة يشعر القارئ بها الكذب أو الإفراط وهذا مما زاد القصدتين رونقا وجمالاً. ومما يزيد طلاوة القصيدتين مراعاة الخيال أو الصورة في المجاز والاستعارة إذ من أهم ما يميز الصيغة الشعرية ومهما يكن الأمر من شيء فإن الشاعرين أبذلا جهدهما في اتخاذ الألفاظ والمعاني وعلاوة على ذلك أن القصيدتين اتسما باختيار البحور الشعرية الرائعة في الميزان العروض وهما بحر الوافر والطويل

** مع الخير دومًا وهو أعلى المنافع
** ويا سيدي السجير يا خير طالع

فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الشاعر حشد الألفاظ والمعاني المبتهجة وإضافة إلى ذلك أن القافية في القصدتين وافقت الجمال والزينة على حسب أراء علماء القافية من أن الميم لها نغمة وصوت رائع وخفة في النطق ولم تتسم بالقصيدة المقفي بالتاء والتاء والغين وهكذا الوزير جنيد وافق في اختيار القافية العينية وهي من القوافي الجيدة الخالية من الكراهة ومهما يكن الأمر فإن الشاعرين وافقا في تناول القافية المناسبة على حسب ما وصفه علماء القافية.

الخاتمة:

وهذه المقالة عبارة عن الموازنة بين الشاعرين العبقريين اللذين عاشا حياتهما في القرن العشرين- وهما القاضي يحي النواوي والدكتور الوزير جنيد -في مدح أمير المؤمنين الحسن بن معاذتناول الباحثان هذا

والنغمة المطربة بيد أن العين مجهور رخو ومخرجه وسط الحلق ولم يتصف بالنعمة الصوتية العالية

8- لكل واحد من الشاعرين مزية وفضيلة، القاضي فاق طالبه في استعمال القافية المطرية الرائعة المكررة التي تزيد القصيدة رونقا وجمالا بينما أن الوزير استعمل الطويل أوسع للمعاني وإن لم يوافق أقوال علماء العروض في اختيار البحر المناسب لقرض الشعر.

9- اتفقا في الجودة والروعة والصورة والأخيلة وكذلك النظم.

4- أجادا في استعمال الصيغة المبالغة في الجملة الاسمية بدلا من استخدام المسند والمسند إليه أو المبتدأ والخبر.

5- اتفقا في عدد أبيات القصيدة وكل منهما أنشد عشرين بيتًا.

6- اختلافا في اختيار البحور الشعرية والقاضي اختار الوافر والوزير تناول الطويل.

7- اختلافا في الروي، القاضي تناول الميم في القافيته والوزير أخذ العين فروي الميم مجهور متوسط ومخرجه بين الشفتين وهو أخفى. إذ يتسرب الهواء معه من الألف، ولذلك بعض علماء القافية يفضلون الميم على العين لاتصاله بالصوت العالي

الهوامش والمراجع

[i] سمبو ولي جنيد الوزير (البروفيسور) تصدي الوزير عبد القادر مثطو وأخيه الوزير جنيد لارهاب البريطاني |المقالة الافتتاحية للمؤتمر الوطني لجمعية معلمي اللغة العربية سنة 2004م

[ii] عباس يحي النووي،نبذة تاريخية عن القاضي يحي النووي،مخطوط ص: 1-2

[iii] عباس يحي النووي المرجع السابق ص: 1-2.

[iv] مقابلة مع البروفيسور سمبو ولي جنيد يوم الأحد من شهر أقسطن سنة 2007

[v] مقابلة مع ابنه المرحوم عباس يحي النووي في شهر أغسطن اليوم السابع صباحًا، 2007.

[vi] ناصر أحمد صكتو (البروفيسور) القيم الروحية في شعر الدكتور الوزير جنيد بن محمد البخاري دراسة تحليلية نقدية، بحث قدمه إلى جامعة عثمان بن فودي لنيل الشهادة الماجستير في اللغة العربية 1421– 2001، ص: 19.

[vii] إبراهيم جنيد،ترجمة حياة وزير صكتو الدكتور جنيد، الطبعة الأولى، مطبعة قدم صكتو باللغة المحلية، ص: 1.

[viii] إبراهيم جنيد، المرجع السابق، ص: 1-2.

[ix] ناصر أحمد صكتو– المرجع السابق ص: 22.

[x] الفيروزبادي،القاموس المحيط، المجلد الأول الطبعة 2007م، ص: 372 دار الكتب العلمية – بيروت لبنان.

[xi] ابن منظور الافريقي محمد بن مكرم، لسان العرب. المجلد الثالث عشر، الطبعة الأولى، القاهرة.

[xii] إبراهيم أنيس وشركاؤه المعجم الوسيط 25 الطبعة الثانية 1392هـ مطبعة القاهرة ص: 894.

[xiii] علي الجندي ناصف، الدين والأخلاق في شعر شوقي، مكتبة نهضة مصرية بالفجالة، الطبعة الثانية سنة 1974م، ص: 57.

[xiv]سامي الدهن، المديح فنون الأدب العربي الغنائي، الطبعة الثانية مطبعة دار المعارف بمصر، ص: 5.
[xv]سورة الأنبياء الأية: 47
[xvi]ابن منظور الافريقي لسان العرب المرج السابق ص: 446
[xvii]إبراهيم أنيس وشركاؤه، المرجع السابق، ص: 172.
[xviii] عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها الجزء الأول مطبعة دار الفكر بلا تاريخ، ص: 322.

[xix]الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، الطبعة الثالثة 1413 – 1992، مطبعة المدنى السعودية بمصر، ص: 87.

[xx]بدوي احمد أحمد، أسس،النقد عند العرب، مطبعة النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع سنة 1996، ص: 358.

[xxi] محمد عبد الله محمد فضل –القضايا النقدية بين الجاحظ وابن قتيبة من خلال كتابيهما البيان والتبين والمعاني الكبير- بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أمد رمان الإسلامية، ص: 21.

[xxii]الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن،المرجع السابق، ص: 88
[xxiii]محمد عبد الله محمد فضلالمرجع السابق، ص: 22
[xxiv]ابن رشيق القيروان،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد, دار الجيل بيروت ،الطبعة الخامسة 1401هـ/1981م. ص: 111
[xxv]بدوي احمد أحمد ، المرجع السابق، ص: 342
[xxvi]ابن رشيق القيروان ، ، المرجع السابق، ص:112